

مفهوم الدراسات القرآنية

الدراسات القرآنية: يُقصد بها غالبًا الأفهام والمناهج الحديثة، خاصةً في الجامعات الغربية، بغض النظر عن عقيدة الباحث.

فدراسة القرآن الكريم ليست حكرًا على المسلمين، بل مُتاحة لكل باحث يملك الوسائل المعرفية اللازمة، لِتُطرح نتائج البحث لاحقًا على محكّ النقد والتمحيص، ولا شكّ أن علوم القرآن تمثل شرطًا أساسيًا للخوض في الدراسات القرآنية؛ فلا يمكن تجاهل المصادر الأولية وتجارب السابقين، كذلك لا يمكن للباحث اليوم أن يتجاهل الدراسات الحديثة، والتراكم المعرفي الحاصل في العقود الأخيرة.

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة مشاريع كبرى للدراسات القرآنية، من بينها مشروع "كوربوس كورانيكوم" لأكاديمية "برلين براندنبورغ" للعلوم، يُعنى بجمع مخطوطات القرآن في العالم ودراستها، واعتبار كل القراءات والتفسيرات القديمة والحديثة في فهم النص القرآني.

مفهوم المعاصرة

المعاصرة في اللغة: من العصر، وهو: الدهر والحين؛ و «المعاصرة» بكسر الصاد فالمقصود بها الكائنة في هذا العصر الذي نعيش فيه ، فالنوازل المعاصرة هي التي حصلت في هذا العصر.

والمعاصرة اصطلاحاً: أنّ الاستخدام الاصطلاحي لكلمة معاصرة ليس بعيداً عن المعنى اللغوي، فالمسائل المعاصرة هي المنسوبة لذلك العصر الذي تضاف

إليه، ويُقصد بها المسائل التي حدثت في العصر الحاضر، فكل من يتحدث عن «المعاصرة» تكون مضافة للزمن الذي يعيشه.

البعد العالمي للقرآن الكريم

ما برح القرآن العظيم يتبوأ القمة الشامخة في حياة الانسانية، وما زالت تعليماته الهادفة تتطلق مع الانسان في مسيرته الواعية، وكلما تقدمت الحضارة شوطا في المعرفة والوعي ادركت في القرآن ما لا يدرك في سواه، ذلك انه كلام الله المنزل على نبيه المرسل.

والمختصون في علوم القرآن وعوالم التأويل وحقائق التفسير اولئك وحدهم الذي يصح لهم فنيا خوض غمار هذا البحر المتلاطم الامواج، فيخوضون في اعماقه الرهيبه مكتشفين كنوزه الثمينه ومع مسيرة الاجيال المتحررة يتبلور الجديد النابض من عطاء القرآن ويتمحور المجهول في كشوفه الابداعية، فتتقاطع الاسرار الالهية زاخرة بالمثل العليا.

القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع لا شك في هذا، ولكنه كتاب استقراء لمجاهيل الكون وهو المصدر الحقيقي الدقيق لتأريخ الديانات السماوية وحياة الرسل والانبياء.

هذا المنظور الرائع للقرآن الكريم يوحي بعالميته القرآن وهذا الفهم الرصين لمناخ القرآن يقضي بإنسانية رسالته بعيدا عن النظرة الاقليمية الضيقة وهذا الواقع المعاصر في تقييم القرآن هو الذي يؤكد حقيقة الصيغ العالمية في مفاهيم القرآن.

من خلال ذلك نقول ان القرآن الكريم وان كان عربي النص الا انه عالمي الدلالية، وهو وان انساني الرسالة الا انه عربي العبارة وهو مع هذين الملحظين

التكوينيين يبقى شامخا بلمح من عربيته المحضة الفصحى، لان عربيته الخالصة يكمن فيها الكثير من معالم اعجازه.

عالمية القرآن الكريم

اولاً: ان عالمية الاسلام تعني بالضرورة عالمية القرآن وذلك ان القرآن هو رسالة الاسلام، وهذه الرسالة المبرمجة قد خطط لها القرآن نفسه بما لا يقبل الشك في كل آياته التي تشير الى عالمية الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالته للبشرية جمعاء قال تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)) والآية في مقام الامر لنبي عليه الصلاة والسلام في اشعار الناس كافة بالقول لهم انه رسول الله اليهم، ومعنى عالمية رسالته واستقطابها شعوب الارض ومختلف الامم فالنبي بهذا رسال الله الى الابيض والاسود والاحمر والاصفر، قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)).

ثانياً: المنطلق البارز في تشخيص عالمية القرآن نصا ومضمونا تأكيد القرآن على خطاب الناس (كل الناس) في تعليماته الالهية وهذا المنطلق يتحدث فيه القرآن الى الناس في مختلف شؤونهم ويدعوهم بعامة الى الاخذ بالأصلح من الانظمة ازاء تدوير الواقع البشري المتقلب ليقف به على مرفأ الامان، ويستقر مستويا بشاطئ الخلاص واول ما يدعوهم اليه سنن التوحيد المطلق في ظلال ملكوته، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)) ويدعم ذلك الملحظ بالكتاب الذي اخرج كل الناس الى النور قال تعالى: ((الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)).

ثالثاً: تتأكد عالمية القرآن في اطار اهتماماته القصوى بالإنسان فهو يتابعه ويلاحقه منذ خلقته وتكوينه وولادته حتى حياته ومعاشه الى حين وفاته ونشره وحشره وعاقبته، ومعنى هذا ان القرآن ذو عناية خاصة بمسيرة الكائن الانساني منذ البداية وهو ايضا معني بمصير الانسان الجامعي حتى النهاية.

قال تعالى: ((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ)) فبين تعالى الاصل في الخلق من الطين، وهو عنصر ارضي يحمل بين طياته عناصر ارضية اخرى فهو عنصر ارضي يحمل بين طياته عناصر ارضية اخرى.

علاقة الدراسات القرآنية بالعولمة عبر الجوانب (الاقتصادية، السياسية، الثقافية)

العولمة هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليكتسب الصفة العالمية او عملية تحويل جميع الظواهر سواء كانت هذه الظواهر محلية او اقليمية الى ظواهر عالمية وعلى جميع المستويات الاقتصادية (من خلال التبادل التجاري بين دول العالم المختلفة والاستثمار الاجنبي وغيرها) والسياسية (من خلال الهيمنة المفروضة من قبل دول العالم القوية على الدول النامية والضعيفة وذلك من خلال تأثيرها في اقتصادها واختراقه مما يدفع الدول النامية الى الخضوع لما يرضي الدول القوية ويخدم مصالحها دون الرجوع الى الرأي العام للدول النامية) والثقافية (بمعنى انتقال الافكار والعادات من مجتمع لآخر فالثقافات القوية تنتشر قيمها وثقافتها على الثقافات الضعيفة) ، وقبل البدء بعلاقة الدراسات القرآنية بالعولمة لا بد ان نفترض سوئلا ونقول: هل العولمة هي العالمية التي استخدمها القرآن الكريم بصيغ متعددة مثل العالمين وغيرها: قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))

ان العالمية القرآنية اشمل لفظا ومعنى ، فالعولمة لا تعني العالمية التي ينص عليها القرآن الكريم، اذ الاسلام بتعاليمه التي جاءت في القرآن لم تنزل لاستصلاح العرب باعتبارهم عربا وانما هم قوم كبقية الاقوام ، اذ القرآن ليس كتابا قوميا يدعو الى تفضيل شعب معين وانما نظرته سامية تتجسد في قوله تعالى: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ))

فهو لا يميز العرب بمميزات خاصة بهم اذ لم ينل العرب من القرآن كقومية الا لغته، فالعادات والتقاليد الاصل فيها الاباحة ما لم يرد مقابلها نص تحريم شيء منها فاللباس وطريقة الاكل وغيرها جزء من موروثات الشعوب تحمل قيما اجتماعية من حقها الاعتزاز بها فلم يطلب الاسلام من سلمان الفارسي وبلال الحبشي الانسلاخ من ثقافتهم وبيئاتهم وطرائق معيشتهم والذوبان في الانموذج العربي حتى يخدموا الاسلام وينصروا الدين، بعكس العولمة التي تفرض لونا معيناً من الثقافة او المنهجية وتطلب من الاخرين الذوبان فيها على مستوى طريقة حلق الشعر وموضة الثوب، ولذلك تنهاوى العولمة امام عالمية الاسلام لان الدعوة الاسلامية شمولية بلا حدود قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) والعالمين جمع عالم وهو: ما سوى الله عز وجل من المخلوقات.

علاقة الدراسات القرآنية بالعولمة:

العولمة ليس اقتصادا فحسب وانما هي منظومة تتعلق بالسياسة والاقتصاد والحضارة والثقافة والاتصالات والمعلومات وهناك تعريفات كثيرة عنها وهي تسعى الى اختصار العلم والعالم وتقريب المسافات في القرية الكونية وكل مسألة من مسائل العولمة قد تناولها القرن الكريم من باب التفصيل في كل شيء على ما يأتي:

اولاً: الجانب الاقتصادي

للنظام الاقتصادي وجه بارز في المنهجية القرآنية فهو يكفل الملكية الفردية في اطار من الرقابة الشرعية والاجتماعية، ويشجع الناس على العمل والانتاج وتطوير التجربة الذاتية في الحياة وبذلك يحافظ على دور المال البناء لئلا يتحول الى صخرة في طريق الحرية الاجتماعية والقيم الدينية ويحسب الاسلام المال حقا من حقوق الفرد ولكنه ملك لجميع الناس وللدين والناس ان يفرضوا الرقابة عليه لئلا

يصبح اداة فساد ولذلك فان السفهاء يحرمون من حق التصرف في اموالهم لأنها اموال المجتمع قبل ان تكون اموال السفهاء ولان المال وضع ليؤدي دور المنظم لأنشطة المجتمع والحافظ لجهود الناس فاذا استغله صاحبه في الفوضى والفساد والسلبية والسرف فانه يفقد دوره ويصيب الضرر جميه المجتمع.

وايضا يعد القرآن الربا من المحرمات المنهي عنها لما فيه من استغلال الضعفاء وانهاك اقتصاد المجتمع لان الربا يثير شهوة الاثراء السريع وبذلك يعطل الاقتصاد ويمتص جهود الفقراء ويجعل رأس المال يدور في فلك اناس معينين، ولهذا جاء تحريم الربا وحلية البيع لأنه يساهم الجميع فيه: قال تعالى: ((وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)) والربا يقيد المال في حدود الفوائد ويكون المرابي شريكا في جهود الناس دون ان يتحمل معهم خسارة او يبذل جهداً، وهذه معادلة مفروضة في نظام العولمة الذي يساهم في الاضرار بالجوانب الاقتصادية للدول الفقيرة مما يؤثر في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية وهو ما نعاني منه في الوقت الحاضر.

ويوجه المنهج القرآني اتباعه الى التزام المسؤولية وذلك بإيجاد التقوى كوزع داخلي يحفظ الحقوق جميعا ويحافظ على حرمان المجتمع وابرزها حرمة المال فالقرآن ينهى عن اكل اموال الناس بالباطل قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)) سواء بالغصب او الغش او القمار او التجارة الضارة او الربا وكل ما يعد اكلا بالباطل.

ولهذا يدفع القرآن بتجاه دفع الزكاة من اجل النفع العام ودفع عجلة التقدم، وبدل الربا على الفقراء يأمر القرآن بالصدقات والمساعدة للمحرومين.

كما يرفض القرآن البخل ويعتبره من الامراض التي تصيب اصحاب الثروة فالعلاج لا يكون الا بالإحسان والاتقان اضافة الى ان الثروة المحصورة من دون

انفاق تورث الكراهية والحدق بين ابناء المجتمع قال تعالى: ((الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ))

كما يشجع القرآن على التداين والاقتراض فكانت الآية التي نظمت امر الدين هي اطول آيات القرآن على الاطلاق اذ احاطه بمجموعة من الاحكام والاجراءات التي تحول دون اساءة استغلاله وتكفل الضمانات الكافية لحفظ حقوق الدائنين والمدنيين في ان واحد قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ... الآية)).

ثانياً: الجانب السياسي:

لقد تحدث القرآن الكريم عن السياسة والحكومة في موارد كثيرة من آياته، تحت عنوان الامامة والولاية والخلافة الحكم فجعلها امانة بيد الحاكم وضرورة عقائدية لهداية الانسان واصلاح الحياة البشرية لتحقيق العدل وتطبيق القانون والنظام اللذين يحفظان ارادة الحق والعدل والخير في هذا الوجود وفيما يأتي مجموعة من الايات الكريمة التي تعطينا صورة واضحة لمفهوم السياسة في القرآن الكريم.

قال تعالى: ((يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)) وقال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) ، وقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) فكما ثبت القرآن تلك الاسس الفكرية للحكم والسياسة ثبت كذلك مبدأ

الشورى والتشاور كأساس من اسس النظام السياسي في الاسلام قال تعالى: ((وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) وفي مواضع اخرى تحدث عن البيعة والطاعة لولاة الامر الذين يقيمون الاسلام وينفذون سياسة الحق والعدل، واعتبرها واجبة على الامة، قال تعالى: ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا))

وهكذا يثبت القرآن المبادئ الاساسية للسياسة ويوضح مرتكزاتها في العديد من آياته التي تم ذكر بعض منها انفا.

ثالثاً: المجال الثقافي:

يطرح القرآن المرتكزات الثقافية للأمم كوحدة مرتبطة بالأديان باعتبار ان اي امة تسمد قوتها وشخصيتها المتميزة من ثقافتها ولا ينبغي ان تتناقض هذه الثقافة مع ما تدين به الله تعالى، والنهي القرآني الذي ورد بخصوص عدم التأثر بالأفكار الغربية والدخيلة انما هو نهي عن التورط في مشكلات تلك الافكار ولان تلك الافكار الثقافية المنحرفة كانت السبب في هلاك معتققيها من اصحاب الديانات السابقة من مثل مشكلة تجسيم الله كما فعل اليهود قال تعالى: ((فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً)) اما الافكار التي هي بنيات التجارب والجهود الذاتية للشعوب والتي لها مدخلية بالنقدم المادي والتي لا تضر بقيم الدين فان القرآن لا يرفضها

من هنا نجد القران ينهانا عن استيراد الافكار والثقافات التي تحلل المجتمع المسلم وتساهم في تأخره ، وذلك من خلال النهي القرآني قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

أَمْثُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا)) توحى حين استخدامها بتلك العلاقة الخاطئة في التعامل مع القوانين ومحاولة عدم العمل بها وهي تخفيف الاحكام من اجل الا يعمل بها في وقت يطرح القرآن لفظة بديلة هي ((انظرنا)) اي امهلنا من اجل البحث عما نستطيع به اداء الواجبات والمسؤولية

وباعتبار ان الثقافة القوية تبعث في الامة القوة والطموح والتطلع لتحقيق المزيد من الانجازات بينما المجتمعات الضعيفة تحاول تحقيق واجباتها قدر الامكان ودون برمجة لأنها تفقد تطلعاتها البعيدة.

وحين يأمرنا القرآن بالتحري والدقة في اخذ الثقافات الاخرى انما يضعنا امام مسؤولياتنا التي تأبى الانصهار في اضلالنا عن ديننا وقوة تمسكنا به ويرفض القرآن الفكر العنصري عند اصحاب الديانات السابقة باعتبار ان افول نجم اية امة يكمن في عوامل عدة منها العنصرية وتقديس الكيان المادي ولهذا يضرب القرآن مثلا من عنصرية اليهود التي لا يريدونها ان تكون في المسلمين قال تعالى ((وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّا اَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ اَمْ تَقُولُونَ عَلٰى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))

من هنا يدين القرآن الفكر العنصري ويبين ان هذا النوع من التفكير لا يعتمد على قيم بل على الالهواء.

اهم الدراسات القرآنية المتأثرة بالعولمة ومنهجها

الدراسات القرآنية لم تتوقف في عصر من العصور منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم وحتى يومنا هذا، كما ان المكان لم يحددها فاذا كانت بداية الدراسات القرآنية في الجزيرة العربية فان نهايتها ممدودة بتساع البلاد عبر القارات في الارض، ولكن لا يخفى على الدارسين والباحثين ان هناك خصائص زمانية ومكانية في الدراسات القرآنية تتسم بها بحسب طبيعة كل وقت وكل بلد، فالدراسات القرآنية في زمن التابعين وتابعيهم هي غير الدراسات في العصر الحديث، وكذلك فان لدراسات القرآنية في المشرق العربي تختلف عن الدراسات القرآنية في الاندلس وهكذا.

والدراسات القرآنية في عصر العولمة لم تتوقف بل بقيت مستمرة بعطائها العلمي والمعرفي فاذا جاءت العولمة بحركة تشمل العلوم والمعارف جميعها فان هذه الحركة شملت الدراسات القرآنية ، وهذا يشير الى تفاعل الدراسات القرآنية مع المستجدات الزمانية والمكانية شأنها شأن الدراسات الاخرى والدراسات القرآنية المتأثرة بالعولمة هي امتداد لدراسات المستشرقين الذين توجهوا نحو القرآن ببحوثهم ودراساتهم في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين وما وصل اليها من بحوث ودراسات سواء كتبت باللغة العربية او عن طريق الترجمة من لغات اخرى كلها تصب باتجاه بحثي ودراسي بغض النظر عن دوافعها واسبابها، فرأينا دراسات غربية وشرقية تناولت الدرس القرآني بطروحات لم يسبق اليها ولا سيما في التعامل مع النص القرآني واجراء المناهج الحديثة عليه.

فالمنهج التاريخي لا ينفك عن القراءة التاريخية للقرآن الكريم عند المستشرقين بل ان هذا المنهج هو الذي كان سائدا في العلوم الانسانية كلها انذاك ومن يومه والى الان هو منهج متحامل على النصوص الدينية كلها ومنا وفي مقدمتها القرآن الكريم اذا عصر ما يسمى بالنهضة هو الذي فرض هذا المنهج لبيئة شهدت انفصاما وانفصالا بين العلم والدين فكان من جراء تطبيقاتها الميدانية ان شملت مصادرها الاسلامية ولذلك رأينا فيما بعد ما يسمى بالدراسات القرآنية التاريخية.

والمنهج التحليلي هو الاخر امتداد لمقاربات المقارنة النصية لنصوص القرآن في المنهج الفيلولوجي الاستشراقي التي اثمرت في الثلث الاول من القرن المنصرم وفي خمسينياته تحديدا افرزت التفسير الموضوعي لان دراسات المنهج البياني تابعة لمدرسة الامناء في اربعينيات القرن المنصرم المتأثرة بالتأولية الالمانية وعلم الدلالة وقد فتحت افقا جديدا لدراسات القرآن وقد حضي كل من هذين النوعين من الدراسات باهتمام واسع وهو امر يوضح مدى اهمية ابتكار مناهج جديدة لو انها سارت بالاتجاه الصحيح ضمن القيود الشرعية في التعامل مع النصوص القرآنية.

اما الموقف الشرعي والعلمي من الدراسات القرآنية المتأثرة بالعولمة وتوجهاتها فلا يمكننا القول كل ما في الدراسات القرآنية المعاصرة لا ينفع وليس فيه ما يفيد لأننا امام جهود لها ما لها وعليها ما عليها ، ولكن يسعنا القول بضرورة وجود ضوابط في الدراسات القرآنية المعاصرة في عصر العولمة تحمي النص القرآني وطريقة التعامل معه من ان نتلاعب به كأني نص اخر وهناك مناهج لا غبار عليها وهو مقبول لدينا يمكن ان نصفها بالاعتدال والتي نعني بها الدراسات ذات التخصص في القراءة الادبية والاسلوبية.

وحتى التاريخية فيها من المجالات المنضبطة ما لا تعدم الدراسات القرآنية من الافادة منها ونقصد بها التاريخية الوصفية وليست النقدية لان هذه الاخيرة اثبتت فشلها منهجيا لأنها تتعامل مع القرآن كما تتعامل مع النصوص المخطوطة.

فهناك قراءات معتدلة في النص القرآني بالرغم من حداثتها ومعاصرتها وهناك دراسات لم تقطع الصلة بمنهج التراث التفسيري القديم كما انها مشت خطوات مع التيار الجديد والفكر الحديث وهي:

اولا: امين خولي

ارسى الخولي منهجا اسماه (التفسير البياني للقرآن) وطرح فيه موضوع مكانة النص المفسر وحدد ثلاث خصائص تجديدية في منهجه احدهما: الخاصة الموضوعية، اي: الجمع الاحصائي للموضوع في مفرداته وسياقه وعلاقته بالمعنى، والاخرى الخاصة المعرفية التي تهتم بما حول النص من معارف والمقصود بها علوم القرآن والاخيرة الخاصة التاريخية اللغوية ويعني بها الاهتمام بالبيئة التي نزل فيها القرآن ومجارة للمنهج الحديث فقد افاد من علم النفس والاجتماع وغيرهما.

ثانياً: عائشة عبد الرحمن

تعاملت مع النص بوصفه نصا لغويا متكاملا يفسر بعضه بعضا وتابعت الخولي في موضوع تاريخية الالفاظ القرآنية ومناسبة التركيب لها.

كما اننا نحتاج الى دراسات قرآنية معاصرة بشرط ان لا تخرج عن سمة الاعتدال الفكري والمنهجي هذا اذا علمنا ان القرآن لا تتقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء ومن ذلك ما نفهمه من كلام الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي قال "من اراد العلم فليثور القرآن فان فيه علم الاولين والاخرين.

الضوابط العامة لقبول الدراسات المعاصرة

القرآن الكريم كتاب الله تعالى وكلامه ودستور الامة وقد حظي بالاهتمام به من اول وهلة نزوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى عصرنا الحاضر بل لم يحظ اي كتاب عبر التاريخ بما حظي به القرآن الكريم من العناية الفائقة تلاوة وحفظا وتفسيرا وكان النبي عليه الصلاة والسلام اول مفسر لقرآن الكريم قال تعالى ((وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما انزل اليهم ولعلمهم يتفكرون)) ومنذ ذلك العهد لم يخلُ اي جيل من علماء وهبوا حياتهم لخدمة كتاب الله تعالى.

ومع مرور الأزمنة ظهر أناس استحدثوا مصادر جديدة في تلقي الشريعة، أو ابتدعوا طرقاً جديدة في التعامل مع كتاب الله وتفسيره ، فضلوا وأضلوا ، وكان لزاماً ان تكون هناك ضوابط لقبول الدراسات المعاصرة
لعلنا نسجل هنا بعض النقاط الرئيسية في بيان حاجتنا العلمية لدراسات قرآنية معاصرة منضبطة على ما يأتي:

١- ان القرآن لا تتقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء ولذلك فالدراسات والبحوث يجب ان تصاحب القرآن في كل عصر وفي كل مكان فضلا عن كونه المعجزة الخالدة التي لا تتفك الامة عنه ابدا ومن ذلك نفهمه من كلام الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال "من اراد العلم فليثور القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين"

٢-توسع العلوم والمعارف في الوسائل والامكانيات بما لا يستغنى عنها في الدرس القرآني المعاصر، وهذا ما اشار اليه القدماء على نحو قول ابن عطية في مقدمة تفسيره: "ان كتاب الله لا يتفسر الا بتصريف جميع العلوم فيه"

وعدد الامام ابو حيان الاندلسي سبعة من وجوه العلوم لا ينبغي ان يقدم على تفسير كتاب الله الا من احاط بجملة من كل وجه منها والسبعة هي: علوم اللغة، والنحو والبلاغة والحديث واصول الفقه وعلم الكلام والقراءات.

٣- تصريح العلماء القدامى بضرورة متابعة العلوم اللسانية واللغوية في تفسير كتاب الله تعالى من ذلك ما ذكره الامام البيضاوي في تفسيره حين قال : "وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعا شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها واصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بأنواعه.

٤- ملاحظة طبيعة القرآن وهي كونه حاملا لرسالة الهية وخطابا للعالمين يتضمن محتوى يطلب من المخاطب التعاطي معه وهذا معنى وصف القرآن بانه كتاب هداية مأمور بتبليغه والعمل به ومن مقتضيات هذا الوصف كونه خطابا مطلقا مع اشتماله على ما هو نسبي فاذا لاحظنا ان القرآن جاء كتاب هداية وارشاد فينبغي فهم اي معاني يحتويها في ثناياها من قضايا العلوم انها انما ذكرت ضمن هذا السياق "الهداية" وليست مقصودة لذاتها فهي حقائق تمثل محطات للاهتمام الى المرسل "الله" وادراك عظمة الرسالة "القرآن" وبالتالي اهمية المرسل اليه محمد صلى الله عليه وسلم واي تجاوز لهذا المستوى يدخل في اسقاط معنى على القرآن لم يأت لبيانه وان كان اشار اليه.

٥- ملاحظة ان القرآن انما هو نص صيغ بلغة عربية لها قوانينها ومعانيها واساليبها ولا يستقيم فهم القرآن من غير الاخذ بالاعتبار البعد النصي والبعد اللغوي للقرآن ففي البعد النصي ينبغي لحظ تكامل النص وافصاح بعضه عن

بعضه واثر بنيته في فهمه وكيفية صياغة اساليبه وخطابه وفي البعد اللغوي ينبغي لفظ لغة عصر نزوله وما قبلها ولغة القرآن في علاقته مع هذه اللغة فضلا عن قوانين العربية ومعاني مفرداتها.

التفسير اللساني للقرآن

اللسانيات هي عبارة دراسة علمية تهدف إلى وصف وتحليل اللغات الطبيعية من حيث بنياتها الصوتية والصرفية والتركييبية والدلالية والتداولية.

والنص القرآني نص لغوي منسوج من جنس لسان العرب، وهو معجز بكل المقاييس؛ يراه الأديبُ معجزاً، ويراه اللغوي معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخ في علمه معجزاً، وسيبقى النص القرآني أرقى نص لغوي عرفته البشرية، أعجز العرب والإنسانية جمعاء عن الإتيان بمثله بدليل قوله تعالى: ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)). من هنا سحر القرآن العرب بكماله وبهرهم بروعته وحسن بيانه وتركيبه؛ لأنه أحدث هزة عنيفة في العبقريّة العربية.

أولاً: إسهام اللسانيات في تفسير الخطاب القرآني:

قد شهد الحقل اللساني في العالم العربي تطوراً كبيراً على المستوى النظري والتطبيقي، حيث عرف البحث اللساني العربي تقدماً ملموساً تميز فيه اللسانيون العرب بتجديد آلياته، وتعميق النظر في الظواهر، واقتراح نماذج تحليلية مكنت من تقديم معالجة جديدة، أنيقة وفعالة لقضايا لغوية متنوعة شملت الصرف والصوات والتركييب والدلالة مما مكن من مراجعة بعض قضايا النحو التقليدي العربي لفائدة تصور لغوي جديد تدعمه نظريات لسانية عربية متكاملة.

أما عن اللسانيات في علاقتها بالنص القرآني، فالصواب أن القرآن الكريم هو أصل للمعرفة؛ لأنه لا تتقضي عجائبه، والصواب أيضا أن يكون القرآن أصلا للسانيات تستوحي من حوضه الفيض؛ خاصة إذا علمنا أن النص القرآني يختلف كثيرا عن كلام البشر.

علاقة اللسانيات بالقرآن

- إن اللسانيات تمكننا من معرفة هندسة الجمل في تركيب القرآن، كما بإمكانها أن تزود المفسر للنص القرآني بآليات وأدوات لسانية تركيبية تمكن من توضيح بعض مظاهر الإتقان في تركيب القرآن.
- من جهة أخرى إن في آيات القرآن الكريم جواهر لغوية ومعنوية لم يتم اكتشافها بعد بل لا نهاية لها مما يقتضي التسلح بما يناسب من الآليات اللسانية لإظهار الإتقان في تركيب القرآن، وبعبارة أدق إن القرآن الكريم له أسرار لغوية كثيرة في مفرداته ومعانيه وتركيبه، وهذه الأسرار اللغوية، تقتضي من الباحث أن يغوص في بحر اللغة القرآنية. وقبل توضيح بعض الآليات اللسانية يجدر بنا أولا أن نظهر أهم خصائص التركيب القرآني.

خصائص التركيب القرآني (خصائص لسانية)

إذا تأملنا لسانيا في تركيب القرآن بدقة يتبين أنه تركيب محكم فريد معجز، نسجت مفرداته بطريقة محكمة، حيث انصهرت هذه المفردات في بوتقته الدلالية والبيانية، فإذا هي وصف آخر من السبك والنظم، مما يجعله في غاية الحسن والجمال، إنه تركيب غير عادي، إذ هناك إتقان في تركيب القرآن بل هناك إعجاز تركيبية؛ ويتمظهر ذلك من حيث البنية التركيبية للجمل، ومن حيث هندسة الكلمات المؤلفة لهذه الجمل. والإعجاز نلمسه من حيث تركيب ما يعرف بالحروف المقطعة في فواتح السور في القرآن الكريم.

إن النص القرآني يحترم واقع القوانين اللغوية، وتتداخل فيه قواعد النحو وفنون البلاغة، وتتبع ظواهره يقتضي معرفة شاملة بقواعد النحو واللغة والمعاني، فهو يمثل بناء محكما مضبوطا تخضع فيه الجملة لهندسة دقيقة ولنظام من الأحكام اللغوية والضوابط العلمية؛ حيث انضمت فيه الوحدات المعجمية بطريقة لسانية مضبوطة، مما يجعل النص القرآني بنية محكمة البناء تضبطه سلسلة من العلاقات التركيبية المحكمة بين مفرداته وجمله وآياته وسوره، كما خضعت هذه الوحدات لعمليات انتقائية محكمة، وأن انتقاء كلمة دون أخرى وراءه حكمة، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز فيه.

وعموما يمكن أن نجمل بشكل موجز أهم الخصائص اللسانية للتركيب القرآني فيما يلي:

- ١- على مستوى اللغة: يتميز برعاية قوانين اللغة وقواعدها.
- ٢- على مستوى المفردات هناك هندسة دقيقة جدا تتمثل في وضع كل كلمة في موضعها التركيبي اللائق بها، وأن أي تغيير تركيبى وراءه حكمة، مما يدل على دقة الإتيان في تركيب المفردات في القرآن.

وعليه إن التركيب القرآني يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريفته التعبيرية على أساس مبادئ للمألوف لتتأمل قوله تعالى: (حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)).

فهذه الآيات بتأليف كلماتها العجيب وهندستها المتقنة، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن أبي ربيعة، وكان من فطاحل البيان استولت على أحاسيسه، ومشاعره، وطارت بلبه، ووقف في ذهول، وحيرة، ثم عبر عن حيرته وذهوله بقوله: "والله لقد سمعت من محمد قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة... والله ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم".

وهذه الحقيقة توجد في سائر كتاب الله لا تتخلف في سورة من سوره ولا في آياته، ومن أجل ذلك عجز أساطين البيان عن الإتيان بأقصر من مثله.

- ٣- على مستوى البنية التركيبية للجمل في القرآن:

هناك هندسة دقيقة على مستوى البنية التركيبية للجملة، وتتمثل في انسجام أجزاء جملة والتأماها، بل إن التركيب القرآني جار على نسق واحد من سمو في جمال اللفظ، وعمق ودقة الصياغة وروعة التعبير.

ثانياً: آليات لسانية يمكن استثمارها لإظهار الإتقان في تركيب القرآن:

١- التحويل آلية لسانية تمكن من إظهار الإتقان في تركيب القرآن:

إن التحويل آلية لسانية تمكننا من الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السطحي في تركيب القرآن، أي إنها وسيلة للانتقال من المستوى العميق المجرد إلى عالم التحقق الصوتي، وبمعنى أدق إنها وسيلة للمواءمة بين العمق المقدر والسطح الظاهر، وحتى نخرج من حيز التنظير ننتقل إلى حيز التطبيق من خلال تحليلنا لتراكيب قرآنية.

لنتأمل قوله تعالى: ((واشتعل الرأس شيباً)) هذه الجملة القرآنية أو التركيب القرآني محولة عن تركيب عميق، فالتمييز في هذا التركيب محول عن الفاعل، والبنية العميقة للآية السابقة هي: واشتعل شيب الرأس ، أي انتشر الشيب وعم الرأس.

ولنتأمل قوله تعالى: ((وفجرنا الارض عيونا)) إذا تأملنا بدقة نلاحظ أن التمييز "عيونا" محول عن مفعول به، وعليه فبنيتها العميقة هي: وفجرنا عيون الأرض، ثم أصبحت الجملة كما هي عليه في بنيتها السطحية بعد تطبيق آلية التحويل.

٢- التقدير آلية لسانية لرد بينة فرعية إلى بنية أصلية في التركيب القرآني:

“التقدير هو تأويل العناصر الخفية تأويلاً دلاليًا واضحاً” ، وإجراءها هو استحضار عنصر أو عدة عناصر مغيبة من البنية التركيبية. ويرتبط التقدير ارتباطاً وثيقاً بالدلالة. كما يرتبط التقدير بالحذف ، فإذا كان هذا الأخير هو إسقاط عنصر أو أكثر من البنية التركيبية فإن التقدير هو استرجاع العنصر المحذوف من نفس البنية. فالحذف يشكل المستوى السطحي للجملة أو تركيبها الظاهر ، بينما يمثل التقدير المستوى العميق أو تركيبها الخفي.

لنتأمل قوله تعالى: ((وجاء ربك)) تمثل هذه الآية بنية سطحية أو مستوى سطحي؛ لاستحالة مجيء الباري تعالى؛ لأن المجيء من سمات الحدوث، اقتضى الأمر تقدير محذوف يمكننا من الوصول إلى المستوى العميق للبيئة السابقة وتكون على الشكل الآتي: “وجاء أمر ربك أو عذابه أو ملائكته”. والتحليل نفسه يصدق على معظم تراكيب القرآن.

وخلاصة ما سبق يظهر أن في آيات القرآن الكريم الجواهر اللغوية والمعنوية واكتشافها يقتضي التسلح بما يناسب من الآليات اللسانية، هذه الأدوات والآليات التي يمكن أن تساهم في إظهار الإتقان في تركيب القرآن.